

# النشاط الثقافي في العالم

## الاتحاد السوفياتي

لمراسل الآداب جليل كمال الدين

تل ابيب والكاريلات الاحتكارية

\*\*\*

تم الصحافة السوفيتية حملة ايديولوجية مركزة في فضح حقيقة الصهيونية العالمية ودولتها اسرائيل ، وفيها الرد على الدعاية الصهيونية التي تجاهر بالعداء للاشتراكية ولحركة التحرر الوطني العربية والعالمية على حد سواء . وقد نشرت جريدة « الازفستيا » السوفيتية في احد اعدادها الاخيرة مقالا هاما نورد ترجمة له فيما يلي :

ما ان دوت النداءات الاولى المشؤومة لحرب حزيران ١٩٦٧ ، في الشرق الاوسط ، حتى انقذت سادة الاحتكارات المالية الصهيونية الى تل ابيب على الفور ، من اجل ان يستخلصوا لانفسهم الفوائد من العدوان الاسرائيلي الذي دعمه وشجع عليه استعمارى الولايات المتحدة . واقترح عضو عائلة « روتشيلد » المالىة ( جان - بيرهالبورن ) ، و ابراهام فاينبرغ من « اميركان ترست كومباني » واخرون من ملوك البنوكه اقترحوا وعرضوا على انزاة « خدماتهم » ، حاسبين مقنعا الاسهم والفوائد .

وفي اثر حملة رجال الاعمال البنكيرية « الخالصة » ، جاء المتدخلون من حملة السلاح الايديولوجي الصهيوني ، وكان من بينهم ، مثلا ، وزير التربية الاسرائيلي س . ليفينبرغ . وكما شاهدت جريدة « لايس » التي يصدرها المهاجرون اللاتفيون في الولايات المتحدة ، فانه هو بالذات كان من اذاع في المدينة الانكليزية ( ايستبورن ) فكرة الدعوة لعقد مؤتمر لليهود ، المولودين في لاتفيا ، عند نهاية هذا العام في تل ابيب . وقد تسلم الدعوة رئيس لجنة « حزب الاشتراكيين الديمقراطيين اللاتفيين » في الخارج بورنو كالنين ، وممثلون آخرون لما يدعى بالمنظمات السياسية لمهاجري اللاتفيين . ان اهداف هذا الاجتماع وغاياته واضحة : فيامكان خونة ومرتدي لاتفيا ان يستقلوه للافتاء ، مرة اخرى ، من منابر تل ابيب الاستفزازية ضد الاتحاد السوفيتي .

حسنا ، دعنا الآن نتذكر من كان هذا ليفينبرغ في لاتفيا البرجوازية !

كان سولومون ليفينبرغ بين زملائه في الدراسة في كلية الزراعة بجامعة لاتفيا تلميذا متأخرا في الدراسة ، ولكن عاملا نشيطا في تجمعات الصهاينة . وقد اصبح عضوا في قيادة حزب الصهاينة الموحدين ، ورئيسا لمنظمة « ترومبيلدور » التي انشأها هذا الحزب ، وهي منظمة الصهاينة - الفاشيين .

ان ممثلي الجيل القديم من الريفيين يتذكرون جيدا كيف كان غلمان « ترومبيلدور » يخربون منظمات الشبيبة ، ويشوشون ويفرقون الاجتماعات ، ويهجمون على المناضلين الثوريين الذين كانوا يعملون سرا . ترى ، أوليس من هنا ابتدأت القرابة الروحية عند هؤلاء مسع المهاجرين اللاتفيين البيض ؟

لقد كان بورنو كالنين هذا ذاته منظمًا وزعيما دائما « للاتحاد الرياضي العمالي » ، المنظمة العسكرية لحزب الاشتراكيين الديمقراطيين

اللاتفيين ، التي اعلنت حربها ضد الشيوعيين والكومسومولين . ان الكراهية لاولئك الذين ناضلوا ضد الدولة البرجوازية ، وكره مجرد فكرة الشيوعية - ها هنا جذر واصول القرابة الروحية للصهاينة الاوربيين مع القوميون اللاتفيين !

و حين نهيا شعب لاتفيا ، بما فيه البروليناريا اليهودية ، تحت قيادة الشيوعيين لانتزاع السلطة ، كان ليفينبرغ هذا وقد ولى هاربا ، شأنه في ذلك شأن كل من ملا قلبهم الرعب من تعاطف النهوض الثوري .

ولكن ، كما تؤكد الحكمة الشعبية القديمة ، فما من دواء يفيد ضد الخيانة . ها هو ليفينبرغ ، على كرسي الوزارة في تل ابيب يعمل كل ما في امكانه لاعاقبة التطور السلمى في الشرق الاوسط ، ولاشمعال نار النزاع في هذه المنطقة من العالم . وحسبنا ان نقول ، انه بموجب اوامر ليفينبرغ ووصاياه ، ينفق ٢٧٢ ساعة في السنة لإعداد الحربي ، في المدارس الاسرائيلية ، ويخصص لتدريس التوراة بمنتهى الروح الشوفينية التعصبية عدد من الساعات يفوق بكثير ما يخصص لدراسة علوم الرياضيات مجتمعة . فضلا عن ذلك ، فقد ادخل في السنين الاخيرة تدريس ما يدعى « بالوعي القومي » الذي تفوح منه ، على بعد ، رائحة الشوفينية التي تزكم الانوف . افيستحق العجب بعد ذلك ان الاطفال الاسرائيليين قد اجابوا بالاجماع على سؤال : ماذا سنفعل مع العرب ؟ اجابوا قائلين « نقتلهم ! »

لقد صرح ليفينبرغ عند التفائه بكالنين انه « في وقت عمل هذا المؤتمر في اسرائيل ، سيصدر كتاب « عن مصرع اليهود اللاتفيين » المستند الى بيانات الشهود الوثائقية » . انه ليتمكننا مساعدة الوزير الاسرائيلي في تهية هذا الكتاب ، وفي بيان المذبذبين الحقيقيين في حوادث القتل الجماهيري للسكان اليهود . فان قائمة هؤلاء القتلة تعني بالذات « ممثلي المنظمات السياسية للمهاجرين اللاتفيين » ، اولئك الذين دعاهم ليفينبرغ الى المؤتمر الوشيك الانتقاد .

وبالمنااسبة ، اية منظمات سياسية هذه ؟ ان اهم منظمة فيها هي المدعوة « داوغافاس فانافي » التي تضم العاملين القدماء في الاس . اس و جنود الفيالق ومجرمي الحرب الآخرين ، الملتخة ايديهم بدماء الناس المسالين ، بمن فيهم اليهود .

ان احد قادة منظمات المهاجرين « داوغافاس فانافي » في السويد هو مجرم حرب مشهور جدا يدهى كارليس لوبسي الذي كتبت عنه « الازفستيا » غير مرة . ولقد كان بإمكان هذا ان يحكي بالتفصيل في المؤتمر في اسرائيل عن قيادته الشخصية لحملات إبادة اليهود في قضائي كولديفسك وفيستيبيلسك في لاتفيا ، وكذلك في منطقة « ستاريا روسا » .

وبامكان شخص آخر ان يقص الكثير على الاسرائيليين ، لضي به الفاشي اللاتفي يانيس تسيروليس الذي كان وكيلًا للفستابو ، والذي يتزعم الآن الانتقاميين الجدد في مدينة « كايزير سلاورن » في ألمانيا الغربية . فقد خدم هذا ابان الحرب في فيلق « الاس اس » ، وكان رئيسا لقوات الامن . وتحت قيادته بالذات ابيد عدد كبير من السكان المسالين من اللاتفيين واليهود . والدماء تلتخ ايدي مجرم ثالث ، هو شخصية بارزة في منظمة « داوغافاس فانافي » المذكورة . انه اولعزت مازاركيفيتش ، الذي يعيش الآن في « كايزر سلاوترن » ايضا .

ولعل افضل صيت يتمتع به العاملون في « القضية اليهودية في لاتفيا » هو صيت ادولف شيلدة ، الذي التجا الى المانيا الغربية ، واستقر في مدينة ستونفارت . وكان هذا كذلك قد شغل منصبًا بارزا في « جمعية البلطيفيين في المانيا » وفي « داوغافاس فانافي » ايضا .

فقد كان احد قادة المنظمة الفاشية « بيركو نكروست » التي تقتصر  
باسمها أسود صفحات لانفيا .

لقد عاث أعضاء هذه المنظمة فسادا منذ الوهلة الاولى لاقتحام  
القطاع الهنلرية لانفيا . فلقد صار هؤلاء المهومون الايدولوجيون لكافة  
اعمال التطهير ، ولاسابع الموت ، وغيرها من الجرائم المرتكبة ضد  
المواطنين اليهود .

ان غوستاف تسيلمين ، وادولف شيلدة ، وآخرين من « الآبساء  
الروحيين » لمنظمة « بر كو نكروست » قد انشأوا ، بتزعمهم لحرمة  
العداء للسامية ، معهدا خاصا للعداء للسامية ، وهو المعهد الذي جعل  
هدفه تبرير ضرورة الابادة الجماعية لليهود . ها هم ، اذن ، من نسمح  
لانفسنا بتسميتهم « ناسا » والذين تلقوا من « الدكتور » ليفينبرغ  
الدعوة الى مؤن اليهود ، المولودين في لانفيا .

ان الفت الوحشي للشيوعية ، وللناضلين من أجل السلام وسعادة  
الشعوب ، والاسرة الاشتراكية ، هو الذي يقرب ما بين « الدكتور »  
ليفينبرغ وبين ممثلي حثالات المهاجرين اللاتفيين المملخة ايديهم بدماء  
صرعى الفيتو .

\*\*\*

### لماذا استبعد سولجينيستين ؟

نشرت وكالة انباء نوفوستي التحقيق التالي :

في تشرين الثاني عام ١٩٦٩ استبعدت منظمة كتاب ريزازان  
الكسندر سولجينيستين من « اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي » . وقد  
دعمت هذا القرار امانة سر قيادة اتحاد الكتاب فسي جمهورية روسيا  
الاتحادية ، كما ايده ابناء الاتحاد السوفياتي . واستبعد سولجينيستين  
لم يكن مفاجأة للكتاب السوفياتيين . وسبب ذلك هو سلوكه ، واتجاه  
اعماله المتعارض مع المبادئ والمهام المنصوص عنها في النظام الداخلي  
لاتحاد الكتاب السوفياتيين . ان استبعاد سولجينيستين قد استثار  
ردود فعل مختلفة في الخارج .

وقد زار مراسل وكالة انباء نوفوستي مقر اتحاد الكتاب  
السوفياتيين لاجراء مقابلة صحفية بهذا الصدد مع كتاب سوفيائيين  
بارزين .

\*\*\*

وجه المراسل سؤالاً الى الشاعر سيرغي ميخالكوف : ماذا يمكن ان  
تقول لنا بصدد استبعاد سولجينيستين من صفوف اتحاد الكتاب  
السوفياتيين ؟

س. ميخالكوف

ان استبعاد ا. سولجينيستين من اتحاد الكتاب السوفياتيين قد  
استثار العديد من الاصدا في الصحافة الاجنبية . ان المدافعين عن  
سولجينيستين ، الذين يجدونه بصفته مؤلفا « كلاسيكيا » لاعمال  
« تكشف القناع عن المجتمع السوفياتي » نشرت باللغة الروسية وفسى  
لفات اخرى من قبل مختلف دور النشر الاجنبية ، يعتبرون اخراجه من  
صفوف اتحاد الكتاب السوفياتيين بمثابة « عار » و « طرائق بربرية »  
ترتكب ضد الكتاب في الاتحاد السوفياتي .

فما الذي حدث في الواقع ؟

ان الكسندر سولجينيستين قد قيل ، في حينه ، فسي صفوف  
الجمعية الابداعية الطوعية للكتاب ، الذين تجمهم الرفقة في الافكار ،  
والذين يعرض النظام الداخلي لجمعيتهم بوضوح مهمات واهداف  
وحقوق وواجبات اعضائها . ان سولجينيستين ، بعد ان نشر اعمالا  
مختلفة في الصحافة السوفياتية ، راح ينشر اثر ذلك مؤلفاته فسي  
الخارج ، باللغة الروسية وبلغات اخرى . وهذه الاعمال ، التي لم تكن  
قد نشرت في الاتحاد السوفياتي ، قدمت في الخارج بصفحتها اعمالا يقف  
الكتاب فيها « بجسارة » و « موهبة » ضد افكار الاشتراكية ، وضد

النظام السوفياتي ، وضد كل ما هو مقدس لدى كل مواطن سوفيائي  
حقيقي .

هذه التاكيدات من قبل مادحي سولجينيستين لم تكن عديمة  
الاساس . اذ ان وجهة النظر هذه بالضبط ، اي العداء للافكار  
الاشتراكية وللنظام السوفياتي ولكل ما هو مقدس لدى المواطنين  
السوفياتيين الصادقين ، هي التي يعبر عنها سولجينيستين في اعماله .  
ولهذا السبب رفضت هيئات تحرير المجلات وادارات دور النشر  
السوفياتية نشر هذه المؤلفات . وقد رفض ا. سولجينيستين احداث  
التصحيات المقترحة من قبل مجلات « زيفزدا » و « بروستور »  
و « نوفي مير » ، مفضلا الشكوى في « رسائله المفتوحة » من انعدام  
ابسط بوادر الاهتمام اذاه من قبل قادة « اتحاد كتاب الاتحاد  
السوفياتي » . وهذه الرسائل نشرت ايضا في الصحافة الاجنبية ،  
وعلق عليها بروح معينة .

وكان ا. سولجينيستين ، مع بقائه عضوا فسي اتحاد الكتاب  
السوفياتيين ، ينتهك بفظاظة النظام الاساسي للاتحاد ، وذلك على حد  
سواء كمواطن سوفيائي وكاديب ، وكانت مخطوطاته تصل كذلك الى  
ايدي دور نشر اجنبية ، وكانت دور النشر هذه تنشرها لاغراض معادية  
لاتحاد السوفياتي . ان ا. سولجينيستين لم يحتج ابدا ضد هذه  
الوفائع التي كان يعتبرها طبيعية جدا . وقد اتخذ موقف المناهضة  
والتعارض التام مع كل اسرة الكتاب - رفاق الفكر ، لذلك وعلى اساس  
النظام الداخلي للاتحاد ، استبعد سولجينيستين نهائيا من المنظمة .

ان ا. سولجينيستين لم يكن عضوا في منظمة كتاب موسكو ، الا  
ان استبعاده قد درس ايضا في الجلسة الموسعة لامانة منظمة ادباء  
العاصمة . ان ٢٢ ادبيا من ادباء موسكو المرموقين ، الذين تكلموا فسي  
هذه الجلسة ، قد ايدوا بالاجماع استبعاد ا. سولجينيستين من صفوف  
الاتحاد وذلك بسبب نشاط سولجينيستين المعادي للمجتمع ، ولانتهاكه  
دستور المنظمة .

ان كل شخص حر في اختيار طريقه . ولكن في هذه الحال ، عليه  
ان لا يبقى في صفوف الذين ينتهجون طريقا اخرى . اننا ، نحن الادباء  
السوفياتيين ننتهج طريقا اخرى غير طريق سولجينيستين . والافضل  
ان نتفصل . وذلك ما فعلناه .

ووجه مندوب « وكالة انباء نوفوستي » سؤالاً الى الشاعر نيقولاي  
غريباتشوف : في جريدة « الناييز » وصف اخراج سولجينيستين من  
اتحاد الكتاب بأنه سياسة متخذة لجعله يلزم الصمت .

ن. غريباتشوف

هذا رأي « الناييز » وشأنها الشخصي . ولكن من الذي قال ان  
« الناييز » قد عبرت عن الحقيقة المطلقة ؟ والواقع انه ما من احد  
يملك ايدي سولجينيستين ، ولا احد يأخذ منه قلمه وورقه .

كثيرون هم في بلادنا الادباء والكتاب الذين ينشرون كتباً دون ان  
يكونوا اعضاء في اتحاد الكتاب . ومن حق الاديب ان يكتب وان يصفى  
الى تفريد الطيور ، وكذلك فمن حسق دور النشر ان تنشر او لا تنشر  
بعض الكتب . ذلك هو الحال في العالم بأسره . ومن الطبيعي تماما ان  
تعرف دور النشر عندنا عن نشر كتب من نوع رواية « فسي الدائرة  
الاولى » . فهل ثمة اسباب لكي نتصرف على هذا النحو ؟ اجل . ان  
الكتاب يتضمن قليلا من الادب الحقيقي وكثيرا جدا من الاشياء المفرضة،  
والحياة تنعكس ثمة في مرآة مزيفة ، واكثر من ذلك ، معادية للسوفيات .  
وقد نشر الكتاب في الغرب . الامر واضح . فليست العناية بالاعمال  
الادبية الحقيقية التي تدفع التقدم والثقافة الى الامام ، بل الحماسة  
لتشجيع الدعاية المعادية للسوفيات ، مع استخدام الوقائع التي يراد ان  
تكون مثيرة . ولكن لعل من الافضل في هذه الحال ان يكون سولجينيستين  
على مقربة من ناشري كتبه ، وان يعيش قريبهم ؟ اننا لسن نمنعه من  
تحقيق مثل هذا « العمل من الحرية الشخصية » .

اما بصدد استبعاد سولجينيستين من اتحاد الكتاب ، فاود القول

موسكو كذلك بتحليل مؤلفاته ونصحوه بصورة مفعمة بالود ايضا بتصحيح اخطائه ( وعلى كل حال ، يمكن ان نلمس ذلك حتى من نص التسجيل المختزل الذي نشر في الخارج ، وان كان هذا النص المختصر مشوبا بالنوايا السيئة ) . وقد شكر سولجينيستين ، برباء ، كتاب موسكو على مساعدتهم ، وتابع انخاذ نفس المواقف في الكتابة ، والتصرف غير الوطني وغير الاجتماعي .

لقد اشاع سولجينيستين في الغرب ان مخطوطات له ، وحيدة ، قد صادرها رجال الامن الوطني اثناء عملية تفتيش لمنزله . وقد اتصلنا رسميا بالنيابة العامة للاتحاد السوفياتي ، التي اجابت بعد استقصاء دقيق ، انه لم يجر اي تفتيش او مصادرة في منزل سولجينيستين ، وان احدا لم يمس اية مخطوطة من مخطوطاته .

وعلى كل حال ، فقد اعلن سولجينيستين نفسه في الجلسة الاخيرة لامانة اتحاد الكتاب بانه لم يحدث اي تفتيش او مصادرة في منزله .

الا ان الشيء الاساسي لا يمكن في هذه المزايم والخدع . فقد اعلنت صحيفة « روسكيا ميسل » ( « الفكر الروسي » ) وهي صحيفة معادية للسوفيات تصدر في الغرب - ملاحظة من المترجم ) اعلنت هذه الصحيفة جهارا بان رواية « في الدائرة الاولى » موجهة تماما ضد الواقع السوفياتي . فكيف لا يحتج كاتب سوفياني ، نسب الى احد كتبه هذا الامر ، لا يحتج على صفحات الجرائد ، انقاذا لشره ؟ وكيف لا يبرر وضعه امام اصدقائه ؟ ان سولجينيستين لم يقم بذلك . فلم يبق الا الافتراض بان هذه الضجة العالمية ترضيه .

سؤال :

لقد اعلنت اذاعة ال ب.ب.ث. ( راديو لندن ) بان استبعاد سولجينيستين من اتحاد الكتاب السوفياتيين قد اثار احتجاجات ٦٣ كاتباً سوفياتياً . فهل هذا صحيح ؟

بان لكل اتحاد ، وهذا امر معروف تماما في الغرب ايضا ، برنامجه ، ونظامه الداخلي ، ومتطلبات يضعها امام اعضائه . نحن لسنا كتابا بصورة عامة ، اي ذوي صفة مجردة ، بل نحن اتحاد الكتاب السوفياتيين . فمن الواضح اذن اننا قد طالبنا اعضاء اتحادنا بان يستجيب سلوكهم ونشاطهم الاجتماعي واعمالهم الادبية لروح ودستور الاتحاد . لقد استبعد سولجينيستين نفسه منذ زمن طويل من اتحادنا : انه لا يأخذ في الحسبان نظامه الداخلي ولا برنامجه ، ولا الرأي العام ، وقد اختار سولجينيستين الصحافة الغربية ، ولا سيما الرجعية ، لتكون محامية عنه . ولما كان الامر كذلك ، ولما كان سولجينيستين قد قسم روابطه منذ زمن طويل مع اتحادنا بمجمل سلوكه واعماله ، فانه لم يبق امامه سوى كتابة الفصل الاخير . والآن ، وقد فقد سولجينيستين كل احساس بالواقع ، ينتحب على اكتاف زبائنه والمدافعين عنه ، الغربيين . وهذا شيء ساذج ، وليس له اي معنى ! ان الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي قد طورت وستستمر في تطوير نجاحاتها بتجاه الشيوعية ، اما الرأي العام السوفياتي - وهذا اعرفه من اتصالاتي بمختلف جماهير المدينة والريف - فهو يؤيد تماما قرار منظمة كتاب ريزان باستبعاد سولجينيستين .

ووجه مندوب (وكالة انباء نوفوستي) سؤالا الى ليونيد سوبوليف ، رئيس مجلس ادارة اتحاد الكتاب في جمهورية روسيا الاتحادية ، وهو : يؤكدون في الغرب ان الديمقراطية حسب زعمهم لم تحترم لدى استبعاد سولجينيستين . الرجاء ان تقول لنا كيف جرت عملية الاستبعاد ، بكاملها .

ل. سوبوليف

ان سولجينيستين وحده هو الذي يؤكد ذلك الزعم . والحقيقة انه كان عضوا في منظمة ادباء ريزان . وكان حاضرا لدى بحث قضيته . وقد استمع الكتاب الحاضرون في صبر واثابة الى آرائه . لكنه لم يقل شيئا جديدا بعد بحث موقفه منذ ٢٦ شهرا في امانة اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي . وقد اعلنت المنظمة رأبها بالاجماع وهو : استبعاد سولجينيستين من اتحاد الكتاب . وقدم هذا القرار ، كما يقضي النظام الداخلي ، ليبحث في امانة منظمة كتاب روسيا الاتحادية ، وقد وافق عليه اعضاء الامانة بالاجماع .

ويقول سولجينيستين ايضا بانه لم يدع في الوقت المناسب الى اجتماع الامانة . مع انه قد انبى مرتين بموعد الاجتماع ودعي اليه . المرة الاولى قام بذلك فرانز تاورين ، امين سر اتحاد الكتاب في روسيا الاتحادية ، وذلك لاجتماع ريزان ، ثم جرى اعلام سولجينيستين ببرقية من موسكو .

لكنه لم يحضر ، مفسرا غيابه باديء بدء بكونه لم يدع ، وحين انتصح عدم صحة ذلك ، ادعى سولجينيستين بانه « لم يجد متسعا من الوقت » . لكنه وجد متسعا من الوقت لكي يوصل في ذلك اليوم بالذات الى اجهزة الدعاية الغربية « تسجيله » الخاص لمناقشات ريزان .

لقد عني اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي خلال حقبة طويلة بكتابات سولجينيستين . وفي جلسات امانة الاتحاد تحدث اليه زملاؤه الكتاب باناة وصبر وكرفاق عن الاخطاء المرتكبة في اعماله . واقترحت عليه ثلاث مجلات ادخال تصحيحات ايدولوجية في كتبه . وكان الحديث شريفا ومهنيا . ان مفهومي « موهبة » و « طابع ايدولوجي » لا ينفصلان بالنسبة لنا . ان اربعة وثلاثين من امراء سر اتحاد الكتاب في الاتحاد السوفياتي ( وهم جميعا كتاب بارزون من جميع جمهوريات الاتحاد السوفياتي ) قد قرأوا باننباه مؤلفات سولجينيستين : « جناح السرطان » و « في الدائرة الاولى » و « وليمة المنتصرين » و « كتاب قصص ودراسات » و « قصص حزينة » وغيرها . وجميع اولئك الكتاب كانوا يرغبون رغبة مخلص في مساعدة سولجينيستين في الخروج من المستنقع الذي جره اليه حماهه الاجانب . ولكن عبثا . فمدانح الغرب كانت بالنسبة الى سولجينيستين اعز عليه من الحقيقة . وقد قام كتاب

## دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

بيروت - القاهرة - بغداد

بيروت ، ص. ب : ٢٠٩١ - تلفون ٢٩٦٨٠٥

تقدم بفخر

# الاجتاهات الوطنية

في الشعر الليبي الحديث

تأليف

الدكتور محمد الصادق عفيفي

هذا الكتاب

يحقّق توصيات مؤتمر الأدباء العرب السائس  
من حيث اربالمقاومة

الثن ٩٠٠ ق لبناني او جنيه ليبي واحد ٥٥ صفحة

ل. سوبوليف

لا يسعنا ، في هذا الصدد الا ان نصح اذاعة لندن بان تولي مقدارا من الثقة اقل بمخبرها في موسكو ، وان تنقص ما تدفع لهم من انساب على عملهم الرديء ، اذا كانت تدفع لهم .  
سؤال :

وصفت جريدة « التايمز » البريطانية سولجينيستين بانها كلاسيكي الادب الروسي . فما رأيكم في هذا القول ؟

ل. سوبوليف

ان اكثر ما يحزن في هذا الامر ، هو ان هذه « الالقاء الكبيرة » يمنحها اشخاص لا يعرفون ادبنا . وبالنسبة لهم يتلخص عالمنا الادبي السوفياني البهائل الضخامة المتعدد القوميات ، يتلخص في زهاء عشرة من الاسماء التي نذكر امامها لا مؤلفاتهم ، بل مختلف الفصائح السياسية وحالات الانارة .

سؤال الى فسطنطين فورونكوف ، سكرتير مجلس ادارة اتحاد كتاب الاتحاد السوفياني : ما هو موقف المنظمات الادبية في بلاد السوفيات ازاء استبعاد سولجينيستين من اتحاد الكتاب ومما يسمى « كتابه المفتوح » الى اتحاد كتاب روسيا الاتحادية ؟  
ل. فورونكوف

بعد اعلان نيا اخراج سولجينيستين من اتحاد الكتاب ، ابسدى العديد من الكتاب اهتمامهم ، بهذه القضية ، وهذا امر طبيعي ، واعربوا عن موقفهم ازاءها . ان « الكتاب المفتوح » الذي وجهه سولجينيستين الى اتحاد كتاب روسيا الاتحادية ، قد لقي شجبا شديدا من قبل الرأي العام . واود ان اقول ، من جهة اخرى ، ان هذه الرسالة ، التي ارفعها كتابها ب ١٢ تشرين الثاني تلقاها اتحاد الكتاب في ١٧ منه ، في حين انها نشرت في الصحافة الجورجوازية الاجنبية واذيعت من الاداعة الاجنبية بتاريخ ١٥ تشرين الثاني .

ان المنظمات الادبية في بلاد السوفيات ، ومنها منظمات موسكو ، ولينغراد ، وبييلوروسيا ، وجيورجيا ، ومولدافيا ، وكازاخستان ، وقرغيزيا ، وغيرها ، قد اتخذت في اجتماعاتها وجلساتها العامة ومؤتمراتها قرارات خاصة وافقت فيها بالاجماع على استبعاد سولجينيستين من صفوف الاتحاد ، وشجبت « كتابه المفتوح » الوجه الى اتحاد كتاب جمهورية روسيا الاتحادية .

ان كتابا كبارا امثال ميخائيل شولوخوف ، وفسطنطين فيدين ، ونيقولاي نيخونوف ، وليونيد ليونوف ، والكسندر تشاكوفسكي ، وغيورغي ماركوف ، وفاديم كوجيفنيكوف ، وليونيد سوبوليف ، وسيرغي ميخالوف ، وانيا بارتو ، وبدروس بروفسكا ، واراكلي اباشيدزه ، وعدي شريفوف ، وكامل ياشين ، وبيردى كيربابايف ، وميرزو طورسون زاده ، وميخائيل لوكونين ، وليف كاسيل ، وغيورغي بيريزكو ، ومئات غيرهم قد وافقوا ايضا على استبعاد سولجينيستين من اتحاد الكتاب وانتقدوا « كتابه المفتوح » في خطبهم او احاديثهم في اتحاد الكتاب .

وقد قال فسطنطين فيدين ، مؤيدا فرار منظمة ريزان ، ان سولجينيستين قد استبعد نفسه منذ زمن طويل من اتحاد الكتاب ، وانه ينكر في « كتابه المفتوح » الصراع الطبقي في حين انه هو نفسه ، اي سولجينيستين يصب الزيت لتأجيج هذا الصراع ضد بلاد السوفيات .

وتعليقا على قول سولجينيستين في اجتماع ريزان انه يبرز في مؤلفاته جروح مجتمعا ، قال ليونيد ليونوف « شيء جيد ان يبرز هذه الجروح ، ولكن من غير المقبول ان يرش الملح على هذه الجروح » .

وقد قال الكسندر تفارودوفسكي بعسد قراءته « الكتاب المفتوح » الذي وجهه سولجينيستين ان هذا « الكتاب » هو وثيقة سياسية . ولا يمكن ان يكون ثمة شك في ذلك . وهذه الوثيقة مخالفة لسياسة حزبنا ودولتنا . لقد غيرت كليا موقفي ازاء سولجينيستين كموطن .

وقال غيورغي بيريزكو « ان منظمة الادباء قد جهدت، زمتا طويلا لمساعدة سولجينيستين،

وقامت بتحليل اعماله ، واوضحت له اخطائه . وكان رده مثيرا للاشمئزاز . اجل ان « كتابه المفتوح » مثير للاشمئزاز تختلط فيه ، على حد سواء ، بمالفة في دوره الاجتماعي ، ووفاحة غريبة بالنسبة لكل ما يحفقه الشعب السوفياني ، و « ثقافة » دنيسة مستهجنة . ان شخصا قليل الثقافة ، او اعمى تماما ، لا يدرك ما يجري في العالم ، هو وحده الذي يمكن ان يتكلم على هذا النحو بصدد الصراع الطبقي » .  
وعديدة هي الآراء المماثلة لرأي غيورغي بيريزكو ، التي ادلى بها الكتاب السوفيانيون .

\*\*\*

يبقى ان نضيف ان سولجينيستين ، برسائله الموجهة الى حماه الغربيين ، قد ضل العديد من الاصدقاء الاجانب ، مصورا نفسه على انه ضحية بريئة . وقد انظمت الاكثوية على كتاب غربيين مرموقين . فوجهوا احتجاجات الى فسطنطين فيدين ، رئيس اتحاد الكتاب السوفيانيين . وقد اوضح لهم فيدين بانهم يتدخلون هكذا في شؤون اتحاد الكتاب السوفيانيين ، وانه ليس من الحكمة العمل على هذا النحو . كما انه لن يكون من الحكمة ان يتدخل اتحاد كتاب الاتحاد السوفياني في شؤون جمعياتهم ومنظماتهم الادبية . ان فرار اتحاد الكتاب السوفيانيين قد لقي تأييدا مسن قبل جميع اتحادات كتاب الجمهوريات جمعا ، والمنظمات الادبية للاقليم والمناطق حيث عقدت اجتماعات للرأي العام الادبي . ويشجب العديد من الكتاب في رسائلهم الموجهة الى امانة اتحاد الكتاب السوفيانيين موقف سولجينيستين ، المعادي للوطن وللمجتمع .

ان الكتاب السوفيانيين بلههم مسألة وجود سولجينيستين في صفوف اتحاد كتاب الاتحاد السوفياني قد تصرفوا طبقا لضميرهم الوطني والاجتماعي .

## إيطاليا

رسالة روما من نيل المهاني

### القنوط والكارثة بين التاريخ واللاتاريخ

\*\*\*

ظهر في روما وفي باريس منذ ايام فيلم بيير باولو بازوليني الاخير « ميديا » المستمد من تراجيدية يوربيدس الشهيرة . والجدير بالذكر ان الفيلم قد صور في كل من ايطاليا وتركيا وسورية . وقبل اشهر قليلة ظهر للمخرج الايطالي فيلم اخر هو « Porcile » اي « حظيرة الخنازير » ، والذي قدم في المهرجان الدولي الاخير للسينما في البندقية .

- ١ -

واذا كان بازوليني لجا في فيلم له - اوديب ملكا - الى الاعتماد الكلي على احداث التراجيديا اليونانية واهبا اياها تفسيرات معاصرة ، فانه في ميديا قد لجا الى تقص بعيد لاحداث الاسطورة كاملة ، لاجما اياها بايحاءات الكورس ومونولوجات بعض الشخصيات ، ومنقلا اياها ، كما هو بديهي ، بين مختلف امكنة تلك الاحداث .

ومن ناحية اخرى ، فاذا كانت تراجيدية اوديب قد اعطت المخرج الفرصة لمعالجة عقد وحدود شخصية الانسان المعاصر في نفسيته واجتماعيته ووفق تفسيرات فرويدية - ماركسية ، واذا كان هو قد وجد في تلك الشخصية الاسطورية شخصية تعبر تاريخيا وفي حد ذاتها عن لحظة من الملامح التي يطل بها الانسان المعاصر في وجوده على عالمه ، فان بازوليني في تراجيدية ميديا قد ذهب بهذا الانسان الى عالم اسطوري - لا تاريخي ليفهمه في تاريخه وفي وجوده المعاصر ، ومرة اخرى ، سواء عبر تشابك الاحداث ومعانيها او عبر طبيعة الشخصيات في حد ذاتها ، وخاصة ، بل وقبل الجميع ، شخصية ميديا العنيفة .

١ - التطور الديني المتعكس عبر تطور الشخصيات : ان عنصر

المقابلة الجدلي هو العنصر الرئيسي الذي يعتمد عليه رسم الاحداث في كل افلام بازوليني . وهنا يشكل هذا التطور المتعكس العمود الفقري للفيلم ، عمود ترتكز حوله الاحداث باتجاهيها المتعكسين :

أ - اتجاه احداث التطور الديني لميديا منذ لحظة اكتشاف خرافية دينها البدائي حتى لحظة استعادة القوى السحرية لذلك الدين فسي اعماقها ، وتنفيذ مفعول تلك القوى في عملية « احراق » بنت كريون والزوجة المقبلة لجيزون ، ومن ثم موت كريون نفسه ، ثم قتل ميديا ولولديها واحراق « البيت » .

ب - ثم اتجاه احداث التطور الديني لجيزون زوج ميديا السذي خانها بعد ان اخلصت له بمساعدته على سرفه الجلد الذهبي من معبد مدينتها وهربها معه بعد قتلها لاجيها ورمي اوصاله اعاقه لتقدم ابيها وملاحظته اياها مع جيزون وابطال الاراغون . تطوّر توحّي لنا به شخصية السيناتور الذي تعهد جيزون طفلا ، والذي اخذ الملامح الاسطورية ايام كانت له تلك النوعية الالهية الدينية ، لكن ليأخذ بعدها الملامح الانسانية الطبيعية عندما استحال نوعا من فيلسوف مادي يتبدى امام جيزون - بعد تركه ميديا - جنباً الى جنب مع ذلك القسم الالهي الاسطوري البائد من ذاته والذي اصبح « ابكم » عديم الفعالية ، فيلسوف يمسر له نفسه وعواطفه بحكمة مادية معاصرة .

ولتر الان شرحا اوفى استوحينته من سيناريو الفيلم ومسّن الفيلم يساعد على توضيح ما سبق :

أ - ... بعد تردد الاخبار عن وصول جيزون ، بدأت ميديا بالذهاب وحيدة للعبادة في مكان المدينة المقدس حيث يوجد الجلد الذهبي رمز المطلق والخلود .. لكن النسوة يدهشن لهذا ، فالقداسة والعبادة قضيتان عامتان مشتركتان وليستا سرا باطنيا مع الذات ... ثم تجثو امام الشجرة المقدسة حيث علق ذلك الجلد وتصلي . انها لم تصل ابدا بمثل هذه الحرارة وهذا الاخلاص ... وترمز لسريان المقدس في اعماقها الموسيقي والاناشيد ، لكن هذه ما تلت ان تقطع على حين غرة ليهبط صمت عميق لا طبيعي ويجعل كل الاشياء . وهنا تحاول ميديا ان تفتش عن اسباب هذا الصمت في العالم الخارجي ، والذي ما زالت تراه بكل غموضه الاصلي السابق لاياسة وضعيية او شرط انساني .

لكن واقع خطوات تخيلته يقطع عليها ذلك الصمت اللاطيعي ، انها خطوات جيزون والذي سبب بروز طيفه فسي مخليتها صمت قداسة الموسيقي ... وتسير ميديا هنا وهناك مراقبة كل الاشياء حولها ، والتي كان لها في نفسها وقع عميق وحيوي وهائل . لكن الاشياء لا تجيب على تساؤل نظرتها ، بل تبدو وكأنها قد تراجعت الى الوراء ، السى لحظة اللامعنى : تبدو وكأنها قد ماتت ... وتدور ميديا بفتنوط بين كل تلك الاشياء . الشجرة ؟ انها ليست الا شجرة قديمة كأي شجرة اخرى .. الصخور ؟ الاشياء المقدسة ؟ .. ان قلبي ميديا الان مروغ : انها تحس بالجنون في ذلك الصمت وفي فراغ الواقع الطبيعي ، والذي يبدو انه يعرض وجهه الحقيقي مستحيل التفسير ... وتبتسم ميديا على حين غرة ، فان شيئا ما قد مر في باطنها ... وتتحرك وانفقس عازمة نحو الشجرة وتمسك بالجلد المعلق عليها محاولة قلعه ...

هذه هي لحظة « الالحاد » التي تهبط على ميديا بظهور ذلك البطل البشري في حياتها ، وهذا هو التحول الذي يطرا على الاشياء بعد فقدها المقدس .

وتمر ايام السعادة الطليقة المتحررة جنب جيزون الشاب الفرح بشبابه ، والذي يتقبل دون الكثير من خلق المصاعب رفض قريبه ووصي عرشه ارجاع الملك له ، ذلك بعد ان وعده به بعد الظفر بالجلد الذهبي ... وينهب الزوجان الى كورنثة . وهناك تبدأ المصاعب والآلام . وتمر احداث التراجيدية المعروفة ، ويقرر الملك كريون طرد ميديا : انها الآن لا تعرف ما العمل . وتجلس تحلم او ترى ، عالمها البدائي ، عالم الرعاة يعود الى مخيلتها . ثم يبدأ الحلم الرهيب او الرؤية التي ستقرر مصير

حضارة كاملة : تبدأ ميديا « بالحفر » داخل « حجرتها » بفتنوط وعناء ، ثم تنتقل « للحفر » في ارض وطنها كوليكديا ... ثم يتبدى لها جدها اله الشمس ليشجعها ... وتبدأ شيئا فشيئا قسوى الدين القديم بالانبعاث في باطنها ... وتعود الموسيقى لتسرن صاحبة معلنة انتصار « البدائية » الدينية في اعماق تلك المرأة البدائية والتي اتت في هذا البلد المتحضر المادي دون ان تستطيع التلاؤم مع عقليته ومفاهيمه ... ان الاعماق التي حفرت داخلها خلال الحلم قد تفجرت الان عن قوى رهيبة ...

ب - اما الخط الثاني الموازي ومعكوس الاتجاه والمتلاحم جدليا مع الاول ، فهو خط تطور جيزون : ان جيزون قد نشأ طفلا بين احضان السيناتور الخرافي الديني ، والذي علمه الدين وتعاليم الالهة وقوانينها وعلاقتها . لكن وبعد ان يكبر جيزون ويتطور يبدأ السيناتور بان يأخذ شيئا فشيئا الطابع الانساني ، وتبدأ تعاليمه ان تأخذ الطابع التشقيفي التاريخي ، فالدين هو تاريخ الديانات ، والالهة حلم من اختراع الحضارة الزراعية . وبانقراض الميتافيزيك يظهر الحدث الارضي ، الحدث الذي ينال عبر الشك كعقيدة والتكنيك كطريقة . وهنا يصبح السيناتور تكنيكا وبينته نوعا من المصنع حيث تتشكل اول سفينة تجسر البحر لتحمل جيزون ورجاله للاستيلاء على الجلد الذهبي في كوليكديا ارض ميديا .

وهنا يشتبك مصير جيزون بمصير ميديا ، ويتغير عالمها وباطنها بعد ان تغير عالمه وباطنه ... وتتالى الاحداث المعروفة حتى لحظة قرار ملك كورنثة - اب زوجة جيزون الجديدة - بطر ميديا الزوجة المخدوعة الطعونة في حبها واخلاصها .

وتقابل لحظة بدء حفر ميديا في اعماقها لحظة لقاء جيزون مع السيناتور في صيفته الجديدة المزدوجة ، الانسانية والخرافية ، والذي يعلن له بانه - بانها - في اعماقه هو ، ثم يشرح قائلا ( لا ، انك قد عرفت سيناتورين اثنين . فمتنما كنت طفلا عرفت ذلك المقدس ، وعندما اصبحت راشدا عرفت ذلك الاخر عديم القدسية ، وها نحن الان امامك، الاول جانب الثاني ) .

وبعد سؤال جيزون عن وظيفة الثاني القديم يجيب السيناتور ( انه لا يتكلم بالطبع ، ذلك لان منطقته مختلف تمام الاختلاف عن منطقنا بشكل لا يمكن معه التفاهم . لكنني استطيت انا الكلام بدلا عنه . وفي نطاق ارادته فانك انت - بعيدا عن وعيك وتفسيرك وادراكك - وفي الحقيقة ، تحب ميديا ) - ( انا احب ميديا ؟ ... لكن وماذا يفيدني معرفة كل هذا ؟ ) - ( ليست هناك اية فائدة ، انها الحقيقة ) .

وبعد ما يسير جيزون الى قصره ، بينما تكون ميديا قد بدأت الحفر في اعماق ذاتها وهي تحلم بانها تحفر في ارض غرفتها . ويطبق الحلم بحذافيره ... ترسل ميديا الثياب المسحورة للزوجة الجديدة فتنتحر ، ثم يلحق بها ابوها فيرمي بنفسه فوقها . ويأتي جيزون ليطلب ولديه من ميديا ، لكنها تكون قد قتلتها واحرقت البيت ، فيطلب منها اعطاءه جثتيهما لدفتنهما ، لكنها تصرخ رافضة من وراء سحب الدخان: اذهب وادفن جثة زوجتك وابيها ... لا شيء ممكن بعد الان . وتكون قد هدته بان كل هذه الآلام ليست شيئا امام آلام « الشيخوخة » التي سيعانيها .

لقد عبر بازوليني عبر شخصية جيزون واقتحام ميديا عليه نفسه عن الكارثة الروحية التي يعاني منها الانسان القربي اليوم . كما انه وفق في طريقة الاشارة الى معنى « قيمة المقدس » في الدينية المعاصرة . قيمة مركبة يوحي لنا بها ، عنده ، تنبئنا له فسي افلامه السابقة : ان « المقدس » اليوم هو خليط جدلي متكامل بين الدينية والدين والمادية والجنس . وهو هنا ، بعد ان عبر عنه وقدمه فسي افلامه السابقة ، يضمه ضمن نطاق الازمة التي وصل اليها ، ازمة لا مخرج منها : فسلا شيء ممكن بعد الآن . والآلام الشيخوخة ستكون اعنف من آلام الشباب الذي يرى .

٢ - التطور الحضاري وطبيعة الشخصيات : ان الدين هو موقف من الحياة ، وكذلك هي الثقافة . لكن ما هي الحضارة ان لم تكن مجموعة مشتبكة من المواقف تجاه الحياة وتجاه الواقع ؟ وهكذا فان اي تفسير لهذه الناحية لا بد وان ينبع عن الناحية الاولى ، اي الناحية الدينية . وميديا يوربيدس صراع بين حضارين ، او بالاحرى بين الحضارة والبدائية ( بين المرأة العنيفة - الساحرة - والرجل العقلاني ، وذلك حسب رأي عزيز على النقاد الكلاسيكيين ) . فماذا يقول نقاد اليسار اليوم عن ميديا بازوليني ؟ انهم يستنتجون صراعا بين العالم الثالث الذي لم يستطع التألم مع العالم الغربي ، وبين هذا الاخير ، ويقولون ، وبالفعل فان بازوليني قد صور الاول في الاناضول التركية وجول السورية والبقية في ايطاليا .. . لكن ما هذه الاستنتاجات سطحية ، فكورنثة مثلا صورت سواء في مدينة بيزا الايطالية او مدينة حلب السورية ، كما ان مناظر اخرى من « العالم الثالث » صورت في شمال ايطاليا . وانا بهذا لا اود الإشارة الا الى خطأ الاستنتاج فقصية الصراع ما اظنها الا موجودة . وان تتبعنا فيلولوجيا لبازوليني كشاعر لا بد وان يوحى بشيء من هذا . وهناك على سبيل المثال في ديوانه ( قصيدة في هيئة وردة ) قطعة هي ( نبوءة ) .. . وهي مهداة الى جان بول سارتر الذي قص على الشاعر حكاية ( علي ذي العيون الزرق ) يرى الشاعر فيها قدوم بطل افرقي « علي ذو العيون الزرق » من الجزائر الى روما لزرع مفاهيم جديدة عن الحياة والوجود :

علي ذو العيون الزرق - احد الكثيرين من ابناء الابدان - سينزل من الجزائر على سفن - ذات اشعة ومجازيف ، وسيكون - معه آلاف من الرجال - ذوي اجسام ضئيلة وعيون - كلاب الابدان الفقراء . على زوارق تائهة في ممالك الجوع - والخبز والجبن .. . ليعلموا البرجوازيين - فرحة الحرية - ليعلموا المسيحيين - فرحة الموت - سيهدمون روما - وفوق حطامهما - سيحطون نطفة - التاريخ القديم .. .

ان هذه الحاجة الى التظهير الشامل والتي جاءت في القصيدة على شكل نبوءة شاعرية ، قد اتت في الفيلم واضحة العنف والناسوية . فيميديا بديانيتها قد استطاعت احراق المدينة وحضارتها ( وما اجمل كنيسة بيزا ذات الطراز الرومي وما اروع اسوار قلعة حلب ذات الطابع التجريدي ، والتي جاءت في الفيلم لتكون اسوار مدينة كورنثة ، وقد كان المخرج - الشاعر كلما رآها كل صباح قبل بدء التصوير يقول : انها تزيد جمالا على جمال ) .

ومع ان الفيلم كان يجب ان ينتهي كما تنتهي التراجيدية اليونانية اي بتخليق ميديا على عربة اله الشمس مع اولادها ( وقد صورت المناظر بالفعل ) الا ان بازوليني اراد انهاء فيلمه بصيحة ميديا المروعة « ليس من الممكن اي شيء بعد الان » ، هذا مما اضفى على الختام طابعا اكثر تراجيكية ، واعطى للفيلم كله مسحة ارسخ من القنوط والتشاؤم الحدسي النابع عن الشعور العميق بالازمة الحضارية المعاصرة التي لا تمر بها الحضارة الغربية وحسب بل العالم باجمعه .

\*\*\*

اما عن طبيعة الشخصيات ، فمن الممكن للقارئ ان يستنتجها من هذه السلطور القليلة التي كتبتها حول الفيلم . ان « لامبالاة » و « طلاقة » فتوة جيزون وعنف وقنوط ميديا لا بد وان توحي لنا بكثير من ملامح شخصية الانسان الغربي المعاصر في ملافاته لخضم حياته ووجوده .

- ٢ -

اما عن « حظيرة الخنازير » اي « بورشيلة » والذي ظهر منذ عدة اشهر ، فاقدم ترجمة لمقال لابرتو مورافيا ظهر في مجلة « الاسيرسو » حيث يكتب مورافيا عادة كناقذ سينمائي ، والجدير بالذكر ان حوار الفيلم هو من اشعار المخرج نفسه ، وهذا ينطبق على النسخة الايطالية الاصلية وعلى النسخة الفرنسية اكثر من غيرها ، ذلك ان بازوليني قد

اشرف بنفسه على دوبلاج هذه الاخيرة :

( ان ايطاليا هي بلد الاخلاقيين ، وللتأكد من هذا تكفينا قراءة المصفحات الثالثة للصحف اليومية وزوايا النقد في المجلات الدورية . ان المجتمع الايطالي في مجموعه غريب عن الثقافة الغربية والتي يطمح في تشكيل جزء منها ، وان لاحتساسيته تجاه القضايا الحديثة يدعو له لاختفاء دهشته وحيرته خلف قناع الاخلاقية . ولتر ، كيما تقتنع بهذا ، الاستقبال الذي قوبل به فيلم « بورشيلة » لبير باولو بازوليني في مهرجان البندقية من قبل بعض النقاد والكثير من المشاهدين .

هذا رغم ان بورشيلة هو من اجمل افلام بازوليني بعد فيلمي « اكاتون » و « لاريكوت » . لكن عيبه الاساسي هو انه عاجل موضوعا من اهم المواضيع في العالم المعاصر : لا امكانية العيش او التعبير عن النفس من قبل فرد « مخالف » او وبكسل بساطة « مختلف » في المجتمعات الفاسدة ( واخرون يقولون مضطربة ) والتي تخلق التابو ، ليس لحماية الثقافة ( كما هو الامر في المجتمعات البدائية ) بل لحماية المصالح ، وان كان هذا يؤدي في النهاية الى خلق الثقافة .

ويوجد في « بورشيلة » قصتان متداخلتان ومتكاملتان ، احدهما تجري في المانيا الحديثة ، والاخرى في بلدة خرافية جنوبية مرسومة عبر تخيل خرافي للقرن السادس عشر كاتوليكي اسباني . ومن البديهي ان ما يهم بازوليني ما هو الا الحكم التاريخي ، وهكذا فان القصة الاجرامية للقرن السادس عشر تيسر بطريقة « لا تاريخية » القصة التاريخية الاجتماعية للعهد النازي ، والتي تيسر بدورها بطريقة « تاريخية » القصة اللاتاريخية الاولى . اما السؤال الدائم فهو ، لكن لماذا النازية ؟ ويجب بازوليني بان النازية كانت لان المصالح كان عليها ان تؤمن حتى ولو تحت خطر الوصول لاكل اللحم البشري .

فما هي القصة ؟ اننا نرى في قصة القرن السادس عشر شابا يهرب - بعد ان قتل ابيه ، اي بعد اتجاهه ضد مؤسسة جوهريه - في عزلة ووحدة مؤسسية قرب فوهات البراكين ، وهذا رمز للزلة والوحدة المعنوية المشابهة ، وهناك يبدأ بالتغذي باللحم البشري بعد قتله المارة . وبعد القبض عليه يصدر الحكم بتقديمه طعاما للذئاب . اما في القصة المعاصرة ، فان المجتمع هو اكل لحوم البشر ، المجتمع النازي الذي غذته الجثث . ويتمرد البطل على مجتمع مماثل ، ما زال كما هو حتى اليوم ، بتفضيله على الحب الانساني العلاقسة الجنسية مع الحيوانات . وبما انه عشيق خنزيره ، فان الخنازير في النهاية تلتهمهمه عن آخره .

ان طابع الاتحاد في الفيلم ينبع عن التداخل التام للعناصر التي تولفه . فمن ناحية معينة ، هناك مجتمع تقليدي يجبر « المختلف » على اكل اللحم البشري ، ومن الناحية الاخرى هناك مجتمع آكل لحوم بشر يجبر « المختلف » على الحب الحيواني ( تزوفيليا ) . وفي كلتا الحالتين فان ما يهمننا ليست صفة المجتمع ، لكن قضية وجود المجتمع ، وهذا شبيه بالقول بان كل المجتمعات هي آكلة لحم بشري .. . ان اكل اللحم البشري هنا مرئي دون اية سقامة ، وعلى انه كارثة اخلاقية وتاريخية . وهنا ياتي ان استشهد بشونهاور اذ يقول ( ان الظلم بصورة محسوسة يتبدى لنا ، بشكله الاصوب والاكمل والاقر ، غير اكل اللحم البشري ، وهذا هو طرازه الاكثر وضوحا ، حيث الصورة البشعة للتناقض الاوسع بين الإرادة وذاتها تبدو في كونها الموضوعي والذي هو الانسان ) .. .

لقد كان من الافضل ، ربما ، ان يروي بازوليني لنا بواسطة الصور عن حياة وعشق وميثة العاشق الحيواني ذلك ، والمأخوذة ، ان لسم نخطيء ، عن صفحات Krafft - Ebing - Psychopathia Sexualis

ان السينما هي سمعية - بصرية دون شك . والمخرج المسرحي لا يلجأ الى رواية الحدث بدلا من تمثيله الا عندما لا يستطيع ذلك ، اما السينما فتستطيع .

ولقد عرف بازوليني كيف يحرك الممثلين للاتيسان بنتائج تعبيرية حكيمة كما قال ( البرتو مورافيا ) .

نبيل مهيني